والتدين فى هذا العصر شيء عتيق يثير الضحك ويدعو إلى السخرية . وأهل التدين فى غالب أمرهم قوم شذاذ الأفهام لم يدرسوا فلسفة ولم ينشدوا علماً . فكيف يا أيها القراء النجب تنخدعون بأقوالهم وتنساقون إلى الأخذ بآرائهم ؟ إن خليقاً بكم ألا تصيخوا إلى كاتب يحسب نفسه واعظاً فى مسجد أو راعياً فى كنيسة ، ولا أقصد أن أغمز صديقى الدكتور زكى بإيراد عبارته تلك ...

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً من مناظرينا الأفاضل ، أن يقفونا تلقاءهم ذلك الموقف المضحك الذى لن يجوز باطله على أحد !

يتحدثون عن حرية الفكر . فماذا أصابهم من ضروب التضييق يا ترى ؟ !

لينتظروا . فسنحدثهم عن حرية الفكر وما لقى إخوانهم الذين سبقوهم إلى القول بوحدة الوجود من ضروب الهوان

ما أكثر الأشياء الظريفة التى كان ينبغى أن نلفت إليها أنظار القراء لولا ضيق المقام !

(للحديث بقية)

دمينى شبة

على هامش النقد :

١ ـ فى عالم القصة

بنت الشيطان ... ... محمود تيمور

للأستاذ سيد قطب

ليست هـذه هى المرة الأولى التى أهم فيها بالكتابة عن « تيمور » ثم أوثر التريث ، لأراجعه مرة أخرى

إنه ليصعب عليك ـ وأنت تتحدث عن القصة ـ أن تغفل عمل تيمور . ولكن يصعب عليك أيضاً أن تقرر مكانه ، وأنت مستريح الضمير

رجل كالمويلحى ـ صاحب حديث عيسى بن هشام ـ لا يجد الناقد مشقة فى تعيين مكانه . مكان « القنطرة » التى تعبر عليها القصة العربية من المقامة اللغوية ، إلى القصة الفنية

ورجل كتوفيق الحكيم ، لا يجد الناقد مشقة فى تعيين مكانه . مكان « الفنان » ، الذى يجعل القصة والرواية ، فصلاً من فصول الأدب العربى ، يقف فى صف واحد مع بقية فصوله ، التى كانت من قبل مقررة ، والتي لم يكن الأدب العربى يعترف بغيرها من الفصول . يتفق الجميع على هذا من ناحية المبدأ ، ثم يختلفون فى تقويم عمله بعد ذلك كما يشاءون

وقد لا يكون الإنسان ـ فى عالم القصة ـ قنطرة كالمويلحى ، ولا مقرراً لفصل جديد فى كتاب الأدب العربى كتوفيق الحكيم ؛ ثم يكون له بعد ذلك مكانه المعلوم

فالمازنى مثلاً قد اشتغل بالقصة الطويلة كإبراهيم الأول وإبراهيم الثانى ، وثلاثة رجال وامرأة ، وعود على بدء ، وبالقصة القصيرة كقصصه الكثيرة فى خيوط العنكبوت ، وصندوق الدنيا وسواها . ومكانه فى هذه القصص وفى سواها هو مكان « الأديب » الذى يستفيد مما يقرأ أعظم الفائدة ، ويتأثر به فيما يكتب كل التأثر . ولكنه يطبع الجميع بطابع خاص متميز

والمازنى ـ بهذه الصفة ـ يمكن أن يعد قنطرة لنوع من القصة « الواقعية الشاعرية ! » قنطرة لأصحاب المواهب الخالقة ، يتأثرون طريقته الجيدة ، ويبدعون من ذات أنفسهم بلا اعتماد على أصل يلهمهم

وهناك شبان يحاولون ، لم يتقرر لهم بعد مكان ، فبينهم وبين تقرير مذاهبهم فى عالم القصة خطوات وتجارب وتعديلات

من كتاب القصة القصيرة الأستاذ « يوسف جوهر » ـ وهو ينسج على منوال جى دى موباسان ـ فى حرارته وشاعريته ، ولكن « جسم القصة » عنده ما يزال بعد ضئيلاً ، وما يزال مكروراً ، وكثيراً ما يحس القارئ بعد نهاية القصة أن حرارتها البراقة قد خدعته ، وأنه لم يخرج منها بشيء كبير ، لا من ناحية الموضوع ، ولا من ناحية اللمسات الفنية فى العرض ، ولا من ناحية الرصيد الإنسانى الذى هو أثمن ما فى العمل الفنى

ومنهم الأستاذ « صلاح ذهنى » ـ وهو لا يزال يقبس من طرائق مختلفة ، وله توفيقاته فى أحيان كثيرة . ولكن ينقصه التركز ، كما ينقصه روح الإبداع الذى يرفع القصة من الحادثة اليومية إلى المجال الإنسانى . وقصصه فى حاجة كذلك إلى الحرارة التى تشعرنا أنه يحس بما يكتب ، وليس متفرجاً عابراً يصف الحوادث

ومن كتاب القصة الطويلة الأستاذ « باكثير » وقصصه ـ لها طلاوتها والحياة واضحة فيها ـ ولكن لا يزال ينقصها تمكن الروح القصصية ، التى تنسى القارئ أن هذه قصة

وتخيّل له أنها قطعة من الحياة تقع الآن . وليس مرد هذا إلى نقص الحياة ، ولكن إلى نقص الروح القصصية ، فهو ما يفتأ بين حين وحين ينبه القارئ إلى أنه يقص عليه ، ولا يدعه يستغرق فى القصة وينساه !

ومنهم الأستاذ نجيب محفوظ والأستاذ عادل كامل ، وكلاهما يخطو الخطوات الأولى ؛ ولكنها - فيما يبدو - خطوات ثابتة وثيقة . تكفى لإثبات وجودهما فى عالم القصة ، وإن لم تثبت لهما بعد مذهباً مقرراً ينسج غيرهما على منواله ؛ إلا أن هذا لا ينفى أنهما في الطليعة - على تفاوت بينهما - فى طليعة كتاب القصة الشبان بلا جدال

وهكذا نجد لكل من يشتغل بالقصة فى مصر مكانه المعلوم فى هذا العالم . فأين نضع « تيمور » بين هؤلاء ؟

لا هو القنطرة بين طور من أطوار القصة وطور كالمويلحى ، ولا هو القنطرة بين التأثر والابتداع - مع وضوح الذاتية الشخصية والطابع المميز - كالمازنى . ولا هو الناشىء الذى لم يزل أمامه المجال منفسحاً للتمكن والكمال

* * *

وهذا كله من ناحية الشكل . فأما من ناحية المذهب والطريقة ، فالحيرة كذلك واقعة

رجل كالمويلحى قصاص واقعى بالمعنى الضيق للواقعية . وهو مع ذلك قد استطاع أن يرسم عدة شخصيات إنسانية للعصر الذى كتب فيه القصة ؛ وأن يصور البيئة التى عاشت فيها هذه الشخصيات المحلية : الباشا ، والعمدة ، والمحامى ، والنائب ، والمشايخ ، وغيرهم من الشخصيات التى رسمها فى حديث عيسى ابن هشام . وهم آدميون لا تشك فى آدميتهم ، وواقعيون - بالمعنى الضيق - لا ترتاب فى واقعيتهم ؛ مع شىء من السخرية والدعابة ، تحسبان لهذا القصاص فى عالم الفنون

ورجل كتوفيق الحكيم ، قد تقرر مذهبه - إلى اليوم على الأقل - فهو فى التمثيلية « الفنان » الخالق الذى يبدع شخوصه من « ذهنه » ليؤدوا له فكرة فلسفية خاصة . وهم - على هذا الوضع - أشخاص صحاح منطقيون مع طبيعتهم ، مستقيمون من أول التمثيلية إلى آخرها مع الفكرة التى خلقوا ليؤدوها . كما فى أهل الكهف ، وشهرزاد ، وبيجماليون ، وسليمان الحكيم . أما فى القصة فهو يتخرف عن هذا المذهب إلى شىء من « الواقعية » المزوجة بالشاعرية ، حتى لتقرب من الرومانتيكية فى بعض الأحيان . كما فى عودة الروح ، وعصفور من الشرق ، ويوميات نائب فى الأرياف ، وزهرة العمر - وإن ظلت هذه الواقعية موسومة بميسم « الفكر » لأن هذه هى السمة الغالبة على طبيعته - ولكن قصصه وروايته تستمد دائماً من « التنسيق الفنى » والإشعاع الشاعرى ، ما تعوض به الحياة الحقيقية . وما يتيح لها أن تنشئ مدرسة معروفة السمات

ورجل كالمازنى يمثل « الأديب » الذى يفيض على شخوص قصصه حركة حية سريعة ، فى حماسة شاعرية قوية ، كما فى إبراهيم الكاتب وإبراهيم الثانى قصتيه الأساسيتين ، أو يفيض عليها الحركة فى دعابة ساخرة كما فى القصص القصيرة

ومهما قيل من تأثر المازنى لبعض كتاب القصة الغربيين ، واقتباسه من طرائقهم وموضوعاتهم كذلك . فالذى يبقى له بعد هذا كله ليس بالقليل . إنه يتأثر ويقتبس فى اتجاه واحد ، وبطريقة واحدة ، يبدو فيها طابع خاص ، هو دليل الشخصية الفنية ...

وقد لا يكون المازنى خالقاً ولا مبتدعاً لموضوعاته وطرائقه ، ولكن هذا لا ينفى أن له طابعه الشخصى فى كل ما يكتبه . هذا الطابع هو الحركة السريعة ، والانتباه إلى دقائق الانفعالات النفسية ، وإبراز الاستجابات التى يمر عليها الكثيرون غافلين . مع تأثره بكشوف علم النفس الحديث ولا سيما فى مجال « التحليل النفسى » هذا التأثر الذى قد يطغى على العمل الفنى فى بعض الأحيان ، كما فى « ثلاثة رجال وامرأة »

فما مذهب تيمور تجاه هذه المذاهب أو سواها فى القصة ؟

يعسر عليك أن تسلكه فى الواقعية الضيقة التى يمثلها عيسى ابن هشام . إذ أن فيه قسطاً من الشاعرية والتلوين الفنى . ويعسر عليك أن تسلكه فى « الواقعية الشاعرية ! » التى يمثلها المازنى ، لأن الحركة فى فنه وئيدة ، والألوان النفسية باهتة ، والشخصية الإنسانية لا تتصرف تصرف الأحياء . ويعسر عليك أن تسلكه فى « الفنية الرمزية » التى يمثلها توفيق الحكيم لأن الفكرة الفلسفية والمعانى الرمزية لا تبرزان فى أعماله

فتيمور لا هو الذى يرسم شخصيات محلية كالمويلحى ، ولا هو الذى يصور نفوساً آدمية كالمازنى ، ولا هو الذى يخلق

شخوصاً فنية كتوفيق الحكيم . ولا هو مع ذلك كله القصصى الناشىء الذى تستطيع أن تدعه إلى التركز والنضوج !

وقد كتب بعضهم يقول : إنه يلتفت إلى « العقل الباطن » فى سيرة أبطاله وتصرفاتهم ويستخدم كشوف « التحليل النفسى » كما فى قنابل وأبو شوشة والمركب

وكتب بعضهم يقول : إنه يرسم « نماذج بشرية » كما فى نداء المجهول وسهاد

وهذا وذلك حق من حيث هو نية وقصد . ولكن ما أثره فى العمل الفنى . إن قيمة القصة لا تقوم على أساس أن القصاص ينتفع بالمباحث العلمية . فهذا قد يفسدها فى بعض الأحيان . ولا على أساس أنه يحاول رسم « نماذج بشرية » فالمهم هو صدق هذه النماذج وحيويتها

وتيمور وفق فى بعض الأحيان فى هذا الغرض أو ذاك ، ولكن هذا التوفيق لم يكن فى تلك المواضع التى عينوها

فمن أظهر الالتفاتات إلى « العقل الباطن » السليمة من التكلف والاصطناع والتى لم تؤثر على التنسيق الفنى للقصة ، التفاتاته فى : « زمان الهنا » و « غانية الحانة » و « انقلاب » فى مجموعة « فرعون الصغير » . ومن أظهر النماذج البشرية : السائحة الأمريكية فى قصة « فرعون الصغير » و « رجل رهيب » فى هذه المجموعة أيضاً . ومن الغريب أن تكون هذه المجموعة قد صدرت سنة ١٩٣٩ . بينما المجموعة الأخرى : « بنت الشيطان » وقد صدرت سنة ١٩٤٤ تتخلف عنها كثيراً فى مميزاتها الفنية

ولكن أى تحليل نفسى . وأية نماذج بشرية ؟

لطالما خيل إلىّ وأنا أجول بين شخوص تيمور أننى فى « متحف الشمع » فتماثيل الشمع هى التى تمثل هذه الشخوص أوضح التمثيل : فلا هى التماثيل الفنية يتصرف فيها الفن كما يشاء ليؤدى فكرة فنية أو ليمثل لمحة نفسية . ولا هى الأجسام الحية التى تجرى فيها دماء الحياة ، فتتصرف تصرف الأحياء . إنها محاكاة للطبيعة وفيها قسط من الفن فى الدقة والتلوين ، ولكنها ليست بعد من الأحياء !

وكثيراً ما يعجزك وأنت تتأمل شخوص تيمور وتصرفاتهم وطريقة حديثهم أن تردهم إلى أى جنس من أجناس الآدميين فى أى زمان أو مكان . وقد يسير بعضهم فى مبدأ الأمر سيرة طبيعية حتى لتكاد تقول : هذا مخلوق حى . ولكن ما تلبث أن يخالف أملك بحركة تكشف لك أن ما أمامك إنما هو تمثال من الشمع ، يحركه المؤلف حركة خاصة ، لأنه توهم — من التحليل النفسى — أن الناس يتحركون هكذا فى هذا المجال

ويحاول تيمور أن يرسم نماذج بشرية من خلال شخصيات محلية — وهى محاولة لو أفلحت لأنشأت فناً إنسانياً وقومياً رفيعاً — ولكنه فيما يخيّل إلىّ بعيد كل البعد عن الناس وعن البيئة . فالناس — حيث كانوا — لا يتصرفون هذه التصرفات . والناس فى مصر ، ليسوا كما يتوهمهم المؤلف ، لا فى طبيعتهم ، ولا فى أحاديثهم ، ولا فى خلجاتهم النفسية ، ولا فى سمة من السمات المحلية الكثيرة التى تبرز طابعهم

إنه لا يخطر لهذه الشخوص مرة واحدة أن تنفعل انفعالاً قوياً ، كما يقع للآدميين — وحين تنفعل يبدو التكلف والبعد عن الحقيقة — وهى غالباً « سهتانة » كما يقول العوام ، حتى فى فورات الحب ودفعات الانتقام . والحركة العنيفة ليست مطلباً فنياً فى ذاته ، ولكنها علامة من علامات الحياة تصدر من البنية الحية فى ميعادها ، فتدل على الحياة الكامنة فيها

* * *

و « بنت الشيطان » مجموعة قصص تبدأ بأسطورة تحمل هذا العنوان . وتحوى غيرها سبع قصص أخرى وتلمح فى هذه الأسطورة محاولة فلسفية لإبراز فكرة خاصة ، على نحو ما يصنع توفيق الحكيم . ولكن المدى متطاول . إن الحركة القومية السريعة ، والبراعة الفنية اللبقة كلتاهما خاصتان من خواص العمل الفنى عند توفيق ، وكلتاهما تتوارى فى هذه المحاولة ، فتظل باهتة اللون ، وانية الحركة ، حتى تنتهى الأقصوصة وفى نفسك منها ظلال خفيفة تنمحى بعد قليل

« بنت الشيطان » طفلة آدمية ، اختطفها زعيم الشياطين ، لينفذ وصية سلفه العظيم ، فى أن يصنع شيئاً ، يثبت به أن الشيطان قادر على القيام بشىء آخر غير الشر الذى اشتهر به ! فهو يحاول أن ينشئها بعيدة عن الشر والألم فى قصر مسحور

ولكن أميراً شاباً مغامراً يسمع بخبرها ، فيحاول وينجح فى الاتصال بها واختطافها ويفتح عينيها على مباهج الحياة الدنيا ويوقظ فيها غرائزها — بعد أن كانت نائمة — فإذا ردها إلى القصر . اشتاقت أن تعود إلى دنيا الشرور الإنسانية ، مؤثرة

إياها مع ذلك العالم الخير الخالى من الألم والشرور

والفكرة — كما ترى — جيدة وبراقة . ولو تولاها قلم كقلم توفيق الحكيم ، لأخرج منها قطعة فنية منسقة . ولو تولاها المازنى لأخرج منها قطعة فكاهية ساخرة

ولكنك تقرؤها هنا فتعجبك الفكرة ثم تنقصك الحرارة كما ينقصك التنسيق الذى يقرر الحركة المناسبة فى موعدها المناسب ، وهناك مواقف بين الشاب والفتاة تتوقع فيها حركة ويرتفع نبضك فى إنتظارها ، ولكنها تمر كما لو كانت فى سنة أو لو كنت متفرجاً بغير حماس !

وفى المجموعة سبع قصص أخرى من النوع « الواقعى » خير ما فيها قصة « الترام رقم ٢ » ، وقصة : « الجنتلمان » [وفى الأولى يصور فتاة مشردة تركب الترام بلا أجر ؛ فيضيق بها « التذكرى » مرة بعد مرة ، حتى يزيد ضيقه بها فيدفعها فتسقط ، ويكاد يقتلها الترام لولا من يأخذ بيدها فى الطريق . وهنا يسمع منها التذكرى أنها لم تذق الطعام منذ أمس ، بينما يتطلق الترام

منذ ذلك الحين يدب فى نفسه عطف على الفتاة ، ولكنا نتبين بعد قليل أن هذا العطف ليس خالصاً . لقد تنبهت الغريزة إن هذا التذكرى يعيش أعزب منذ أن ماتت زوجه ، تقوم بشئونه خادمة عجوز . فهو منذ اليوم ضيق الصدر بهذه الحياة ، وهو مشتاق لأن يعثر على الفتاة . وحين يعثر عليها بعد أيام لا يدفعها من الترام ، بل يدس فى يدها تذكرة عند صعود المفتش ، وحين يقف الترام يشترى لها رغيفاً محشواً بالأدم ، ويسألها عن حياتها أسئلة متقطعة

حتى إذا كان الشوط الأخير نزل يقصد داره ، وقدمان تتبعانه ... إلى الدار ! لقد أحست الأنثى بغريزتها ما الذى يعطفه عليها ، فسارت على خطاه !

وفى الثانية يرى فى مطعم اعتاد أن يرتاده . دمية تمثل « الجنتلمان » يمسك بيده قائمة الطعام ، فيتخيل هذا الجنتلمان حياً ، ويقابله بالتضايق منه والتبرم به ، لما فى وقفته من تكلف وما فى « نفسه ! » من تصنع ، فيهجر المطعم من أجله . وأخيراً يفلس المطعم ويباع ليهودى فى شارع « جامع البنات » ويمر به ، فيراه هناك ذليلاً ممسكا بيده عينة بطاقات . فيستريح لذلة الجنتلمان . ثم يزداد تدهوره ، حتى يعثر به فى شارع الموسكي غارقاً تحت حمل من الملابس القديمة ، فيهز يده فينهار !

وهكذا تجد فى القصة الأولى ظلالاً إنسانية ، وتحليلاً نفسياً ، وفى الثانية انفعالات نفسية وسخرية لطيفة . وكلتاهما تنبع من قلب إنسان ، ولكنه إنسان يؤثر اللطف والرقة على الإنفعال والحيوية : ضحكته ابتسامة باهتة . وغضبته سحابة طارئة . ووثبته خطوة دانية . وإشارته إيماءة خفيفة . ولكنه إنسان

* * *

هذه الظلال الإنسانية التى تبدو فى بعض القصص ، مع شىء من الشاعرية اللطيفة ، هى وحدها التى تجعل الناقد لا يستطيع أن يغفل فن تيمور وهو يتحدث عن القصة ، مهما كان فى هذا الفن من فتور

أيها القارىء . لقد حيرتك فيما أحسب بهذه الأحكام المتناقضة !

إنها صورة من نفسى تجاه فن تيمور .

سيد قطب

دار الكتب الاهلية

تشترك فى إحياء العيد الألفى للفيلسوف أبى العلاء المعرى

فتقدم لأول مرة

رسالة الهناء

لأبى العلاء المعرى

جزءان فى سفر واحد

شرح وتحقيق الأستاذ الكبير

كامل كيلانى

الذى حبب الأدب العلائى إلى كل قارئ

كما حبب القراءة إلى كل ناشئ

الثمن ٣٥ قرشاً صاغاً ـ وللبريد ٦٣ مليما

يطلب من الناشر

دار الكتب الاهلية

بميدان الأوبرا ـ ت ٤٩٥٦١

وفى السودان من مكتبة كردفان بالأبيض

وفى العراق من مكتبة الزوراء بسوق السراى ببغداد